



من سير
أهل النهراء

١٢

عمر حديد
رحمه الله

مجلس شوري المجاهدين في العراق



بسم الله الرحمن الرحيم

(عمر حديد)

علمُ أعلام الفلوجة

وسيدُ الشهداء فيها - نحسبه كذلك -؛ إبنها البار، وسيدُها المطاع، وقائدُها المغوار، مَنْ أَمَسَكَ بتلابيب المجد، فَلَانَ لَهُ وانصاع، رَغَبَتْ نَفْسُهُ بالعُلا، فلمْ يَرْضَ بغيرِ عَدْنٍ، مهاب الجانب ولَيْنُ الجناح، أَسْمُهُ على الأعداء سيفٌ سلط، وعلى الإخوان سلسبيلٌ زلال، هو في النَّاسِ شامةٌ، وعلى الجبين تاجٌ، إِذَا رَأَيْتَهُ ذَكَرْتَ الله، واطمأنت النفس وارتاحت؛ أَسْرَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ خيراً، و أَبْعَدُ النَّاسِ طَلَباً.

هو "عمر حديد"، أو عُمر حُسَيْن حَديد المُحمَّدي، أسدُ الفلوجة الَّذي أَخَذَ بمجامع البُطولة، واكتسَى بسربال الهيبة، هذا الجبلُ الأشمُّ الَّذي جَعَلَ من المدينة الصَّغيرة للنَّاسِ علماً، ويُنِى الفخر آية، وفي المجد شرفاً، لم يَسْعَ لشيء من الذِّكر ولا أَرَادَ الشُّهرة يوماً، ولا كان لها يلتفتُ أو عليها يَبْكِي، ولأجلها يَجِدُّ ويسعى كما يفعلُ الكثير، لكن عزَّ الدُّنيا والآخرة - نحسُّه والله حسيبه - كان نصيبه، وكيف لا وهو ابنُ العقيدة البارِّ، وتلميذُها النَّجيب، وداعيتها الموفق الصَّادع بالحقِّ، المُبتلى في الله، الموحَّد في زمان الظُّلمة، والسَّاعي لمسح رُكام الغفلة، وذلك زمن الطَّاغوت الهالك (إن شاء الله) سيدُّ البعث صدام حُسَيْن.

حيث تعرَّف حبيبنا على الأخ الدَّاعية "محمَّد شيشاني"، و بمسجد الفيَّاض شكلاً أوَّل مجموعة للأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر في عاصمة البدع ومهد الخرافة في تلك الفترة (الفلوجة)، حيثُ تمكَّنت هذه المجموعة من تحطيم محلات "الفيديو" الماجنة، وحلاقة النَّساء (والتي تُستخدمُ في الباطن لأعمال أُخرى)، و أماكن الخمر، ثمَّ زحفوا إلى القرى المجاورة حتَّى وصلوا إلى "الكرمة"، لكن أبي الله إلّا أن يمهد له فيبتيه، وأعتقل أحدُ أفراد المجموعة حيثُ أعترف بدور الشيخ البارز وصاحبه، فدوهما في أحد الدُّور لكنَّ الشَّهيد البطل وصاحبه تمكَّنا من فكِّ الحصار، بعد أن قَتلا أحد أزلام الطَّاغوت وجرحا آخرين؛ وهنا



بدأت أول رحلات التَّشَرُّد ودُروس العُربة، فتنقّل بين مُدن العراق يطلب الأمان، ويدعو إلى الله.

وفي يوم من الأيام جاء أحد أقاربه وكان مسؤولاً في الاستخبارات ذلك الوقت، وقال له: "تعال معي ساعة واحدة وأنا أتعهد أن ترجع ولا تُطالب أبداً، لكن شيئاً صورياً فقط، تُعلن التوبة وأنت بريء من قتل الجندي وبعدها تنجو". فنظر عُمرُ إليه وقال: "بل أنج أنت بنفسك من عذاب الله، إذا سألك على عمالتك لهذا الطّاغوت، وأما أنا فمُرتاح وناج بحول الله والله غالبٌ على أمره".

وسقط نظام البعث، وبدأ القائد يبحث عن دوره، لطموح العقيدة بين جنبيه، فذهب إلى "راوة"، وهناك أسس أول معسكر للأخوة العرب المهاجرين، مع الأخ الشهيد أبي محمد اللبناني وغيرهم.

ثم جاء إلى الفلوجة، وقاد أول معركة ضدّ آليات أمريكية، أسْتُشهد فيها ثلاثة من الأخوة ونجى هو وآخر من الموت بأعجوبة، وعلم الرّجل ما هو مطلوبٌ منه، فبدأ بجمع السّلاح بكافة أشكاله وأنواعه.

ثم بدأ بأهل بيته يعظّمهم ويذكّرهم ويدعوهم إلى الله، فلانت له قلوبهم ودأبوا له بالإمرة والسّمع والطاعة، كبيرهم وصغيرهم، ولقد رأيتُ عمّه كابن عمّه صغيرهم وكبيرهم، الكلّ يقول: جاء الشّيخ عُمر وراح الشّيخ عُمر، وإذا جلس قاموا على خدمته "مع إباء منه"، وإذا تكلم أسرعوا في طلبه وهذه من نعم الله عليه.

فما أسْتُشهد الرّجل حتى دُفن بنفسه أخوه الأكبر "عبد الستير"، وابن عمّه الوفيّ "جاسم" طالبُ الشريعة وغيرهم. فلله درّكم آل حديد، وشرفكم في الآخرة، كما تشرفتم بالدّين في الدّنيا.

أول مرّة رأيته كان يلبس عباءةً، وعلى رأسه "شماغ" وعقال، يتكلّم بأدب ويتسم بجياد، فظننتُ أنّه شيخٌ من شيوخ العشائر، فذكر الشّعْر وإذا به يقول منه الكثير، لكنّي للأسف لا أحفظُ منه حالياً شيئاً، ولعليّ أجمع منه بعضاً بعد ذلك. فزاد في عيني؛ أدبٌ وعلمٌ وجهادٌ وهيبة، فملت على من بجاني وسألته من الشّيخ؟، قال: ألا تعرفه؟.. قلت: لا، قال: هذا



عمرٌ حديد من الفلوجة. وهذه كانت بدايتي معه، ثم بدأت أحداثُ الفلوجة الأولى، تلك الأحداثُ التي شكّلت مُنعطفاً جديداً في تاريخ سيرته وسيرة غيره الجهادية، بل في سيرة المدينة نفسها، حتى أنّه إذا ذُكرت الفلوجة ذُكر عُمر، وإذا ذُكر عُمر ذُكرت الفلوجة، فهما وجهان لشرف واحد، كلاهما أثر على الآخر، بدءاً من أحداث مُديرية الأمن و"القائمقامية"، وانتهاءً برحيل البطل.

لكنني أبدأ من الفلوجة الأولى، حيث أحبّ هنا أن أسجّل ما أظنّ أنه كان سبباً - والعلم عند الله - لعلو شأن الرجل ورفعة منزلته في الدنيا، وأسأل الله أن يرفع منزلته في الآخرة؛ وهو أنّه عندما أفتَحَم الأمريكان الفلوجة أوّل الأمر، احتبأ أكثرُ الناس في بُيوتهم، وبدأ الوجلُّ يدبّ في أوصالهم، وخافوا على أهلهم وأولادهم وأموالهم.

لكنّ عُمر ما خافَ إلا الله، فذهب إلى بيته، وأخذ يُحرّض أهله وأبناءَ عُمومته ومن معه، ثمّ حمل رشاشه وجرى خلفه أخوه عبد الستير وأبناءَ عُمومته وعلى رأسهم الشاب جاسم. فأسرع الناس إليهم "مالكم، مجانين؟، غطّوا وجوهكم، الأمريكان - الجواسيس -!!"، والرجل يجأر بأعلى صوته: "أخرجوا يا ناس، دافعوا عن أعراضكم، لن يتركوكم، أصدّقوا مع الله ساعة"، وأحسنُ الناس من يأت له بـ "شماغ" يغطّي به وجهه أو شربة ماء يروي بها ظمأه.

ورأيتُ والله الحُرقة على الدّين تملأ عُيونَه، والخوف على العرض يملأ قلبه، والجرأة في أمر الله سمته. فقلت؛ سبحان الله، صدق ابنُ عباس لما تكلم عن أبي بكر، فقال "ما سَبَقُكم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام، ولكن بشيءٍ وقر في قلبه". ولعل عُمر حديد وقر في قلبه حبُّ الدّين والغيّة على أهله، فلذا ضحّى بنفسه وأهله ولم يلتفت.

ولكن سبحان الله القائل: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ}. فعلى قدر البلاغ تكون العصمة، كما قال الشيخ سيّد قطب رحمه الله.

وعلى الرّغم من أنّ كثيراً من بُيوت الفلوجة قُصفت ودمّرت برغم خلوّها حيث هجرها أهلها وفرّوا، إلا أنّ بيتَ عُمر والذي كان مأوىً للمُجاهدين من المهاجرين والأنصار ومقرّاً



لطعامهم ودوائهم، فلم يُصَب بسوء، بل أنّهم قصّفوه أكثر من مرّة ولم يُصَب بسوء بل دُمّر ما حوله؛ فسُبْحان الله.

بدأت المعركة؛ وشكّل عُمر مع الشّيخ أبي أنس الشّاميّ وأبي عزّام وغيرهم القيادة العامّة للمعركة. وكان من نصيب عُمر، الإشراف العامّ أو الإمارة العامّة على أثنى أماكن الصّراع وأشدّها وطأة؛ (الجولان)، حيثُ حاول العدوّ مرّات ومرّات أن يدخل المدينة من جهتها، لأسباب كثيرة أهمّها:

- قصر المسافة بين مواقع العدو ومقرّ الجولان.

- طول خطّ الجبهة من هذه الجهة، ممّا يصعب على المجاهدين حمايته.

فوالله لقد كنّت في هذه الجبهة، فلصوت عُمر في المعركة بألف فارس، ورؤيته ترفعُ الرّوح المعنوية وتزرعُ الثّقة في النفوس.

أذكر مرّة أنّ مجموعة من الأخوة ذهبت لمهاجمة أحد مواقع الأميركيّان، وبلغ الخبرُ إلى الشّيخ عمر حديد، أنّ الأخوة محاصرون، فجاء كأنّه الرّيح المرسلة يحمل رشّاشه، وكان من نوع "ناتو- أبو الأحص الحديدي"، وبدأ ينشرُ الأخوة ويزار فيهم: "لابدّ أن تخلص الأخوة، هيّا يا شباب"، وتقدّم بنفسه من أحد الجهات، وبدأ بتنسيق الجهات الأخرى حتى يسّر الله وخرّج الأخوة مُنتصرين بعد أن كانوا مُحاصرين.

وكانت نُقطة الشّيخ عُمر دائماً محلاً لقصف دائم ومستمر، فلم يتركوا فيها أرضاً ولا بيتاً، آخرهم كان البيت الذي يُستخدمُ مخزناً للدّخيرة، وكان ذلك قبل انتهاء المعركة بأيّام، وكانت هذه الدّخيرة آخر ما كان عندنا من عتاد، فحزن عُمر حزناً شديداً، واشتكى إلى الشّيخ أبي أنس، فقال له "يفرّجُ الله يا عُمر"، وبعدها جاء النّصر والظفر، وذلك بعد استفراغ الوسع في بذل السّبب، فلمّا ذهبت أسباب الأرض، نزل سببُ السّماء بفتح مُبين.

ثمّ بدأ الشّيخ عُمر بعد الفلّوجة الأولى أهمّ مراحل حياته، حيثُ بدأ يؤسّس لبداية عصر من الخير والبركة، فشكّل مع مجموعة من إخوانه (مجلس شوري المجاهدين)، والذي كان يأمل أن يكون نواة حكم إسلاميّ لمدينة الفلّوجة، بل بدأ عُمر وإخوانه يقومون بواجب الأمر



بالمعروف والتّهي عن المنكر، وقامَ بتنحية شيوخ التّصوف المذموم، الذين فروا من المدينة مع بداية الهجوم الأمريكي، وقامَ بتعيين مجموعة من الشباب الموحد، ممّا جعل عُمر عَرْضاً لسهام هؤلاء الجبناء، فبدءوا يلصقون به كلّ تُهمة، ويرؤونه من كلّ حسنه، لكن الشّرفاء من أهل المدينة عرفوه ناصحاً للناس حاكماً بينهم بالعدل، و إذا عُرضت عليه مُشكلة يأخذ الحقّ من الظّالم مهما كان حجمه وقدره.

و من مآثر عُمر المعروفة أنّه لما شَعَرَ بأنّ فيلق الفلّوجة من الحرس الوثني، بدأت تظهر منه رائحة الغدر و الخيانة، هجم على مقرّاته، وقبض على رؤوسهم، ثمّ أعدمهم واستولى على مقرّاتهم بما فيها من سلاح وعتاد ولباس، وطهر المدينة من دنسهم؛ ولحزن الأمريكيان عليهم، قام هؤلاء الغزاة بعمل لوحة ضخمة أمام أحد أهمّ قواعدهم، عليها صورة أمر الحرس الوثني بالفلّوجة. ثمّ استمرّ عُمر يُعدّ ويجهّز لغزو مُحتمل من الأمريكيان، بدءاً من تجهيز وشراء السّلاح، وسدّ الثّغرات، وأسندت إليه مرّة أخرى قيادة الجولان.

وجاءت أحداث الفلّوجة الثانية، وكان موقعه كما أسلفنا بالجولان، وكنتُ بحِي نزال مع الشّيخ أبي عزّام، وعبد الهادي وأبي ربيع، وآخرين من المهاجرين والأنصار، و بدأت أخبار الجولان تأتي إلينا غير سارة البتّة، وكان آخرها ألماً أنّ عُمر حديد قد قُتل، فتألّم الجميع وصارُ الحزن سيّد الموقف.

وفي صبيحة يوم مُشرق، أطلّ علينا عُمر وقد أُصيبَ في ظهره وكتفه الأيمن، يحملُ رشّاشه، و في هذه المرّة (١٦ إم) الأمريكي فكبرنا جميعاً، وسجدنا لله شكراً، ثمّ حكى لنا قصّة إصابته وكيف استطاع مع إخوانه فكّ طوق الحصار المفروض عليه، وجاء إلى حي نزال، ومن هذا الحيّ بدأ عُمر يُمارس دوره القياديّ، فعلى الرّغم من إصابته و صُعوبة حركته، كانت إذا استعصت منطقة أرسلناه إليها لسبب هامّ؛ أنّ الأخوة إذا رأوه يتحمّسون ويتشجّعون ويكون الإقدام شعارهم ومنهم من يستحي منه، ثمّ إنّ عُمر كان صاحب سرّ في هذا الأمر الله به عليم. وأقتحم الأمريكيان حي نزال، وقاتل قتال الأبطال، وتفرّق الأخوة مجموعات، فذهبتُ مع مجموعة وذهبَ هوَ مع أُخرى، ثمّ جاء مع محمّد جاسم العيساوي (أبو الحارث)، وآخرين والبسمة تعلو وجهه قائلاً: "إنّ شاء الله التّصر لنا،



فهمهم إن شاء الله، إنا نطمع فيما عند الله"، وكنت أعلم أنه يعني الجنة، ثم بدأ القتال يتم في أنحاء حي نزال فبدأنا ننحاز من بيت لبيت.

وفي هذه الأيام انحاز الأخوة ولم أستطع أنا وثلاثة من الأخوة أن ننحاز لأسباب كثيرة؛ ونظر عمر إلى البيت الذي كنت فيه، فجئن جنونه، لأنه رأى القناصة فوق سطح البيت وخاف علينا خوفاً شديداً، فأخذ سلاحه الـ (إم ١٦)، وبدأ يقنص عليهم، فقنص الأول ثم قنص الثاني، و على إثرها فرّ الجبناء من سطح البيت، مما سهل خروجنا بحول الله من المنزل.

ثم جاء (نداء المرأة) كما يعرفه من كان في حي نزال، والذي أمروا فيه بخروج كل حي من المدينة إلى أماكن حدودها. فعلم الجميع أن الموت قادم لا محالة، وأن الجبناء سوف يستخدمون أساليب قدرة.

وبالفعل، استخدمت الغازات السامة والحارقة، وما كشفوه مؤخراً من موضوع الفسفور الأبيض غيظ من فيض.

وبدأ عمر ينحاز من مكان لآخر، حتى استقر به المقام في أحد البيوت مع أكثر من عشرة من الأخوة. وإذا به يشعر بالأمريكان يحاولون اقتحام المنزل، فصعد على السطح وبدأ في الاشتباك معهم، لكن طلبة قنّاص كان مختبئاً في بيت مُقابل أصابته في رأسه، فترجل الفارس، وإن صحّ التعبير، فركب الفارس جواده ليصُول به ويجول في علياء الجبل والشرف ويمرح به في جنات عدن عند مليك مقتدر، نحسبه والله حسيبه.

وأصاب الأخوة بعده ما أصابهم، لكن الجميع احتسبه عند الله، فقد ارتاح من هذه الدنيا وتعبها. ومن جميل الأشياء أن الأمريكان استخدموا في حربهم هذه كل وسيلة كعادتهم، ومنها الحرب النفسية.

وموضع الجمال في القصة: أنه كثيراً ما كانوا يُنادون في مكبرات الصوت: "أخرجوا، سلّموا أنفسكم، إنكم مُحاصرون، سنبيدكم، لقد فرّ قادتكم، لقد تركوكم، عمر حديد الجبان فرّ وترككم، طلب الحياة وترككم تموتون...".



فيسْمَعُهَا عُمَرُ وَيَضْحَكُ، وَالْإِخْوَةُ مِنْ حَوْلِهِ يَضْحَكُونَ، وَيَزْدَادُونَ ثَبَاتاً وَيَقِيناً فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ، {فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}.

وَأَذْكُرُ مَرَّةً أَنَّهُمْ قَالُوا فِيمَا قَالُوا: لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِأَسْلِحَةٍ مُدْمِرَةٍ، سَوْفَ تَحْرَقُ الْأَرْضُ عَلَيْكُمْ وَتُمْطَرُ السَّمَاءُ نَاراً، عِنْدَنَا قُوَّةٌ جَبَّارَةٌ لَا طَاقَةَ لِأَحَدٍ بِهَا، فَضَحِكْتُ وَاللَّهِ سَاعَتَهَا مِنْ صَمِيمٍ قَلْبِي، وَقُلْتُ لِإِخْوَانِي: "أَبْشُرُوا، فَوَاللَّهِ هَذَا الْكَلَامُ بَعْدَهُ الْفَرْجُ الْقَرِيبُ". فَمَا تَأَخَّرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَفِي الْخَتَامِ أَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يَحْرِمَنَا مِنْ عُمَرُ وَإِخْوَانِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي بِحَبِّهِ وَحُبِّ أَمْثَالِهِ مَا أَطْمَعُ بِهِ فِيهِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ.

وكتبه

أبو إسماعيل المهاجر